وإذا بحثت في نظام هذه الزوايا ونظام أتباعها رأيت نظام حلقات الكفاح وإعداد الانقلاب، يطلق على أتباع كل زاوية: (الإخوان أو الأحباب) ويطلق على رئيس أصغر فرقة (شاويش) ويسمى قائد الفريق (مقدم) والرئيس الأعلى (الشيخ) ولكل زاوية فروع في البلدان المجاورة تسير بنظام تلتقى تفاصيله من الشيخ الأعلى، ويمتاز الأتباع بالطاعة التي لا نظير لها ووحدة النظام، ووحدة أسلوب التربية النفسية أيضاً.

فالزوايا إذن في حاجة إلى درس وبحث على ضوء العلم الحديث وتفهم خفاياها مما يلقن فيها من أوراد وأدعية وأذكار، لأنه إذا قارن الإنسان بين ما عليه الزوايا وأتباعها اليوم من اعتقادات، وما كان عليه أشياخها الذين أسسوها يدرك مقدار التحول البعيد من الحق إلى الضلال، فانظر إلى التوحيد الخالص الذي جاء في نص دعاء لأحد شيوخ الطرق الأقدمين يقول: (اللهم إني أتوسل بك إليك. اللهم إني أقسم بك عليك. اللهم كما كنت دليلي إليك فكن شفيعي لديك. اللهم ان حسناتي من عطائك. وسيئاتي من قضائك. فجد اللهم بما أعطيت على ما به قضيت).

فأين هذا ممن أصبحوا يتوسلون بهذا الشيخ نفسه إلى ا، ويرجون شفاعته عند ا فضلاً عمن يطلبون منه الخير والشر والنفع والضر، وهذا مع ما تقدم بفرض علينا إرجاع الأشياء لحقيقتها وإصلاح العقيدة الإسلامية بذلك، حتى يجتمع عليها المسلمون حين ألف ا بين قلوبهم فاعتصموا بحبله.

ولقد كان لهذا الزوايا الأثر الخطير في الكفاح الإسلامي ضد أعداء الإسلام في مختلف العصور، وحتى ضد الظلمة المستبدين من الحكام المسلمين بما لا يتسع المجال لذكره الآن، وإنما الدور الذي لعبته الزوايا أو الرباطات الداخلية في إجراء أسبانيا عن سواحل المغرب، وتحطيم برامجها الخبيثة التي أعدتها لإفناء شخصية المسلمين وكذلك في الجهاد ضد الاستيلاء الفرنسي على الجزائر والمغرب وتونس، كل هذا أصبح أوضح من أن يوضح. ولقد وقفت بنفسي وأنا أتتبع عند زيارتي